

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

@ 151 @ البصري وقد ذكر يحيى بن أكثم فعظم أمره وقال كان له يوم في الإسلام لم يكن لأحد مثله وذكر هذا اليوم .

وكانت كتب يحيى في الفقه أجل كتب فتركها الناس لطولها وله كتب في الأصول وله كتاب أورده على العراقيين سماه كتاب التنبيه وبينه وبين داود بن علي مناظرات كثيرة . ولقيه رجل وهو يومئذ على القضاء فقال أصلح الله القاضي كم آكل قال فوق الجوع ودون الشبع فقال فكم أضحك قال حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك قال فكم أبكي قال لا تمل من البكاء من خشية الله تعالى قال فكم أخفي عملي قال ما استطعت قال فكم أظهر منه قال مقدار ما يقتدي بك البر الخير ويؤمن عليك قول الناس قال الرجل سبحان الله قول قاطن وعمل طاعن . وكان يحيى من أدهى الناس وأخبرهم بالأمور رأيت في بعض المجاميع أن أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون وقف بين يدي المأمون وخرج يحيى بن أكثم من بعض المستراحات فوقف فقال له المأمون اصعد فصعد وجلس على طرف السرير معه فقال أحمد يا أمير المؤمنين إن القاضي يحيى صديقي وممن أثق به في جميع أموري وقد تغير عما عهدته منه فقال المأمون يا يحيى إن فساد أمر الملوك بفساد خاصتهم وما يعدلكما عندي أحد فما هذه الوحشة بينكما فقال له يحيى يا أمير المؤمنين والله أنه ليعلم أنني له على أكثر مما وصف ولكنه لما رأى منزلتي منك هذه المنزلة خشي أن أتغير له يوما فأقبح فيه عندك فأحب أن يقول لك هذا ليأمن مني وإنه والله لو بلغ نهاية مساءتي ما ذكرته بسوء عندك أبدا فقال المأمون أ كذلك هو يا أحمد قال نعم يا أمير المؤمنين قال أستعين بالله عليكما فما رأيت أتم دهاء ولا أعظم فطنة منكما